أمين صالح.. بحر صداقة

رؤى – حسن حداد:

الكتابة عن أمين صالح.. مشروع ليس باليسير وليس آمناً في ذات الوقت.. ذلك لأن أمين محور مهم في تجربتي مع السينما والكتابة عنها.. فدائماً ما يلتبس الأمر علي، هل أنا اشرع في الكتابة عن أمين؟ أم الكتابة عن تجربتي مع أمين؟

الإجابة هنا عصية وذلك هو الأمر الفاتن الذي يتميز به أمين مع كل من يعرفه عن قرب من جيلي.. ومسألة دائماً ما تؤرقني.. أقف مذهولاً أمام تمنع الكلمات.. لتبدو لي الكتابة بعيدة المنال... هل أعتبر هذا بمثابة سحر أمين.. أم أنه سحر صداقته الصامتة المختزلة لحوار لا ينتهي ووجهه الذي يتركه في ماء الروح ويذهب ...

(2)

«يأسرني هذا الرائع أمين صالح في حديثه.. في طريقة نصب فخاخه للأصدقاء.. العلاقة مع أمين صالح لابد أن تأخذ شكلاً روحانياً.. حتى لو حاولت التملص من هذه الورطة.. فهو يسحرك بصداقته.. يحتويك.. يهيئ لك جنة من الرؤى ويأتي بك إلى ساحات البهاء.. يضعك في مهب جنته.. يباغتك بماء الفضة.. ويحول مشكلة الكون إلى مزحة..!!!

(3)

(تجده أحياناً متقمصا طاقة الطفولة في داخل أي شخص يشاركه حلمه.. تجده يخذلك أحياناً في كشف أسرار هذا الحلم.. ولكنه يعينك في نفس الوقت على اكتشاف أسرار هذا الدخول.. يجلب لك المعونة لكي تحاول.. وتفشل.. ثم تنجح في النهاية.. لتجد نفسك في متون الحلم مزهواً بما فعلت.. منتصراً من تحريض منه.. هكذا هو أمين صالح.. لا يهدأ إلا بعد أن يغرر بك وتدخل في المغامرة..!!!

(4)

الذهاب مع أمين إلى «أفلام من الإمارات»، لم يكن في الحسبان.. لم أتخيله تماماً.. كان بمثابة اكتشاف بالنسبة لي.. بالرغم من عمر صداقتنا الطويلة، إلا أن السفر معه لم يكن قبل ذلك.. لم أختبر نفسي مع أمين في مسافات أخرى.. كان حلماً يسهر معي حتى الصباح.. صداقتي مع أمين ازدادت رونقاً هناك.. فاللحظات التي جمعتنا ـ وهي كثيرة ـ تألقت بالفكرة والمزحة والمرح.. وكأني أتعرف عليه من جديد.. كان اكتشافاً جديداً حقاً.. كم أنت زاخر يا أمين..!!!

(5)

اكتشفت انه من الضروري أن لا أصل إلى إجابة على سؤالي فالكتابة عن أمين.. والكتابة عن تجربتي مع أمين.. ضرب من الغموض الخاص بي في حل لغزه سيفقدني النشوة التي تدفعني للتباهي.. أولاً لأن أمين صالح يشكل بداية المعرفة ومحورها بالنسبة لتجربتي في السينما ومن ثم الكتابة عنها. وثانياً لأن أمين يحيل كلام الصداقة إلى مشاعر بسحر خاص لا يفوقه أحد فيه.. أمين الصديق.. أمين الصادق.. كيف لي أن أكلمك بالصداقة..؟

(6)

كان ذلك في بداية الثمانينات، عندما بدأ الاهتمام والكتابة عن السينما يحتوياني.. في البدء كان مجرد اهتمام جارف بالسينما وبكل ما يكتب عنها في الصحافة.. ثم بدأ البحث والقراءة في الكتب والمراجع السينمائية، والتعرف قدر الإمكان على المدارس والأساليب والتيارات السينمائية الهامة.

شخصياً.. أعتبر نفسي محظوظاً لتواجدي في وسط ثقافي زاخر.. كان عونا لي على البدء والسير في هذا المجال مرحلة تلو الأخرى. كان أخي قاسم، أول المهتمين بما كتبت.. كان الدرس الأول درس العقل والروح..

(7)

لا اعرف بالضبط هل وجدته ام وجدني ـ استكمالا للالتباس ـ الرائع أمين صالح، باعتباره أكثر اهتماماً بما أسعى إليه.. السينما. فكان عليه أن يهيئني لتشكيل رؤية واضحة وعميقة لما جئت به عن السينما.. كان صبوراً ومتفهماً بشكل خيالي، لذلك الاندفاع والحماس الذي طغى علي لنشر ما أكتبه.. فكم من المشاريع التي ألغيت، أو أعيدت صياغتها، لكي تظهر على الشكل الذي ظهرت عليه.. تعلمت من أمين الكثير.. تعلمت منه كيف أسيطر على جموح الكتابة.. وكيف أستفيد من هذا الجموح في نفس الوقت.. تعلمت منه أن أكسر التقليد وآتي بالجديد.. كيف أكون نظرة خاصة بي أثناء المشاهدة السينمائية.

كنت محظوظاً جداً.. لوجودي في مثل هكذا وسط.. وسط أمين وقاسم.. وسط لا يحتفي إلا بالمخيلة.. والقلم والحب، لنسكب حبرنا جميعا بين يديهما تاركين أمامنا كجيل النقيضين والمسافة بينهما فضاء تزدهر فيه مواهبنا.

حسن حداد

> يأسرني هذا الرائع أمين صالح في حديثه.. في طريقة نصب فخاخه للأصدقاء.. العلاقة مع أمين صالح لابد أن تأخذ شكلاً روحانياً.. حتى لو حاولت التملص من هذه الورطة.. فهو يسحرك بصداقته.. يحتويك.. يهيئ لك جنة من الرؤى ويأتي بك إلى ساحات البهاء..

نديم المرفأ
هذا هو لا أقل بل أكثر

استغرقتُ في الكتابة يوم أمس عن أمين صالح، لكنها دائما ما كانت تنتهي بنقطة على السطر، تقول لي: إنك من بين أكثر المغامرين في الكتابة عن ذلك الأمين فشلاً، لا لشيء سوى أنك كنت واهماً أعتقاداً بأنك قريب جداً من تلك القارة الإنسانية قبل أن تكون مبدعة في لحظة من اللحظات، فقد تبيَّن لي كلما ذلفت بحثاً في الكتابة عنه بأني قد انتخبت للإمساك بكائن رسمت حدوده، شكله، بقطرة صفاء، قطرة نقاء، هذا هو لا أقل بل أكثر.

دون شك وجدت في طرقات الكتابة ذلك الإنسان والمبدع، القاص والروائي والسينمائي، الصديق والأخ الكبير، لكن الكتابة ذاتها، دائما ما كانت تفسد عليَّ كلّ شيء، مجنونة هي بلا شك.

عرفت ندماء المرفأ، ندماء الريح أولاً، لم أعرف أمين صالح بعد، قرأتها نصاً نصاً ولا أعرف ما إذا كنتُ أنا من كان يقرأُها أم هي من كانت، لا أعرف لا أعرف، ما أعرفه جيداً بأنها كانت تقول : «حين أسرفت، وكانت خطوتك تأخذك بعيدا في خضاب الأنفاق لتستخرج نثار الكبريت، دخلت المحنة وجئت العالم مقتحما وحوشه.

لم تكن باسلا لنهلل لك. لم تكن رعديدا لنخبئك في راحاتنا. كنت الجاهل البريء تخلص الطرائد من فخاخ القنص، ترابط عند شاطئ المقهى منتظرا شبح العدل، فأشفقنا أن يأسر كاحلك قناص ماهر.

ترصدناك طويلا، وعندما حانت لحظة موتك جئنا لنقول لك الكلمة المؤجلة: أي ثناء لن يكون كافيا. أحببناك. أطعمناك، في سباتك، الأرز والزيتون. كنت لنا الصديق الغائب، الصديق الذي لم نختلط به، لكنا شممنا لون عذابك في أسمال الهجر. نذكر خلوتنا، نحن وأنت، في ورقة القمر وكان مذاق النبيذ يرطب أجفاننا. في تلك الخلوة لم يكن أحد حاضرا، لا أنت لا نحن لا القمر، لكننا تبادلنا الأنخاب وضحكنا» .

هي سيرة شخص ما ربما كنتُ أعرفه، سيرته ربما، لكنها كانت سيرتي أيضاً، أذكر تلك الأنخاب جيداً، أعرف مذاقها، ألوانها، وجعها، لكنه النص بتعددية التلقي لا الأنخاب، كان كفيلاً بأن يسعف وجعاً هنا ويسد فاه جحيم فاغر من الألم هناك، ويكفني فقط، بأني جعلت ذلك الأمين أيقونة جميلة في ذاكرتي، و الجميل في الأمر، بأن علاقة إنسانية جميلة قد أثثت نفسها دون سابق إنذار فيما بيننا، فرحت بها كثيراً، فقد كان بمثابة الأخ الأكبر لي، أنا افترضت ذلك وهذا ما أعتقد بأنه كان.

وإذا كان «عزوز» أمين صالح في «رهائن الغيب» مصابا بلعنة التأتأة لسبب ما، وعندها فقط تتعثر الحكاية ويتخبط المعنى في رواق الكلام، فإن هذه اللعنة ستصيب كل من يتجرأ بقصد الكتابة عنه، إذ إن كل صور أمين تتحول إلى صيغ شبحية، تحاصرك، تطلع لك من كل الزوايا، فتصيبك بحالة من الشلل الذهني، فلا تعرف لأي صورة فيه تنتصر، وبأي صورة ستفر للكتابة عنه، لهذا سيكفيك أن تقول عنه : بأنه ذلك الإنسان بحق، فهو عبر إنسانيته الخرافية هذه كان مبدعاً، عبرها فقط كان له الحرف و النص ملاذاً لولادة المعنى لتلك الحياة التي نعيش، ورواية لتلك القيمة الإنسانية الفاخرة.

■ علي القميش